

عِبَقَات من سيرة الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام



تميز الامام الجواد عليه السلام بأنه تولى مسؤولية الامامة بعد استشهاد ابيه الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام على يد المأمون العباسي، وهو لم يتجاوز 8 سنوات من عمره الشريف كما انه استشهد، وهو ما يزال في ريعان الشباب ايضا حيث لم يتجاوز عمره الشريف 25 عاما .

ورغم قصر عمره الشريف الا ان حياته كانت حافلة بالتطورات وزخرت بالعطاء العلمي ونشر معارف اهل البيت عليهم السلام وبيان فضلهم على من سواهم حتى رزقه الله الشهادة فقتل مسموما على يد زوجته ام الفضل بنت المأمون بتحريض من عمها المعتمد العباسي والتحق بأبائه الطاهرين في آخر ذي القعدة عام 220 هـ ودفن في بغداد الى جوار جده الإمام السابع موسى بن جعفر عليهما السلام.

وقيل مولده الشريف كان الشيعة ينتظرون بفارغ الصبر ولادته من أبيه الإمام الرضا عليهما السلام ، وذلك لعلمهم بهذا الأمر، اذ تجاوز عمره الشريف أكثر من أربعين سنة ولكنه لم يرزق ولداً بعد، وكان يجب حين يسأل عن

وارثه: "إن الله سوف يرزقني ولداً يكون الوارث لي والإمام من بعدي".

وأزالت ولادة الإمام عليه السلام القلق من قلوب اتباع أهل البيت عليهم السلام حيث كان يحزنهم أن لا يكون للإمام الرضا عليه السلام خليفة.

وتميز عصر الإمام الجواد عليه السلام بوجود المأمون على كرسي خلافة بني العباس الذي اشتهر بالدهاء وأساليب التحايل التي تبطن العداوة وتظهر المودة لاتباع أهل البيت وعلى رأسهم الإمام الجواد عليه السلام.

ومن سبق المأمون في الحكم كانوا يواجهون الأئمة عليهم السلام وأتباعهم بأساليب البطش والحديد والنار وقد رأى بعينه كيف كان أبوه هارون الرشيد يتعامل مع الشيعة بكل قسوة لكنه علم أن هذا الأسلوب من التعامل معهم وأئمتهم لن يزيدهم إلا قوة وتمسكاً بخطهم وطهرت بؤادر تشير إلى زعزعة أركان حكم بني العباس لذلك اختار أسلوب التعامل بدهاء ومكر يبطن القسوة والنار للحفاظ على كرسي سلطانه من الثورات التي اشتدت في أرجاء عديدة من العالم الإسلامي ضد حكم بني العباس المزيف بقراءة الرسول الأكرم (ص) بعد ما تبين للناس حقيقة إجرامهم.

خطة المأمون

ارتكزت خطة المأمون مع اتباع أهل البيت عليهم السلام على محاولة تضعيف الفكر الشيعي والطمع به من الداخل بشكل يحدث زلزالاً في صميم عقائدهم فيقضي عليهم بشكل لا تقوم لهم قائمة بعده. وقد لاحظ أن الإمامة هي الحصن الأساسي لهذا الفكر. من هنا كانت محاولاته ترمي لتحقيق ما يلي:

1 - محاولة تحطيم عقيدة الشيعة بعصمة الإمام عليه السلام من خلال استدعائه إلى دار الخلافة وإرغامه على العيش في القصور لاسقاط شخصيته الثورية.

2 - شن هجمات متتالية على شخصية الإمام العلمية عبر عقد المناظرات مع أبرز العلماء الذين تصل يده إليهم بحضور رؤساء القوم وأشرفهم بغية وقوع خطأ أو توقف في الرد من قبل الإمام فيحصل مراد المأمون.

3 - وفي النهاية إذا باءت كل محاولات السلطان السابقة في تحطيم فكرة الإمامة فهو على الأقل سيضمن إبقاء الإمام إلى جانبه وعكس صورة للناس بأنه كسائر أتباعه ممن يعيشون في القصور فيتحول الشيعة من معارضين إلى اتباع أيضاً.

4- شكلت عقيدة الشيعة بالتقية والخفاء تحد حقيقي لسلطان بني العباس، لذلك فإن استدعاء الإمام الجواد من مدينة جده الرسول الأكرم (ص) إلى بغداد ليكون قريباً من المأمون وتحت إشرافه المباشر طيلة الليل والنهار ما يسمح له برصد نشاطاته واتصالاته وبالتالي الحد من مخاطر المعارضين من اتباع أهل البيت عليهم السلام وضمن استمراره في الحكم بأمان وراحة بال.

وكان المأمون قد واجه والده الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام بذات الأسلوب والسياسة نفسها ولكن سياسته باءت بالفشل الذريع ولم يستطع أن يسجل موقفاً واحداً على الإمام يستطيع أن يستفيد منه في خطته هذه إلى أن فقد الأمل ووجد أن الدفة تميل لغير صالحه وأن الإمام الرضا عليه السلام، وبسبب هذه المناظرات والمواقف الحازمة انتشرت شهرته في البلاد وحيا شديداً بين العباد، وشيعته تزداد يوماً بعد يوم، فلم يبق أمامه إلا حل واحد وهو التخلص من وجوده الشريف فسد له السم فاستشهد الإمام عليه السلام ودفن في أرض خراسان /مدينة مشهد

حاليا الواقعة بشمال شرق ايران/.

وفي هذه الظروف والأجواء انتقلت المواجهة إلى الإمام الجواد عليه السلام وكان له من العمر ما يقارب ثمان سنوات، وعندها وجد المأمون نفسه في مواجهة الإمام الذي ما يزال صغيرا في عمره، فتجدد أمله بتحقيق مخطئه باستخدام اسلوبه القديم، فإن من يواجهه ليس الإمام الرضا عليه السلام بل هو ابنه الصبي الذي لم يبلغ الحلم، ومن كان في عمره عادة يعجز عن مناظرة كبار العلماء أو الصمود أمام مغريات السلطان ودار الخلافة بكل ما فيها، من هنا كانت خطة المأمون في استدعاء الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد.

الإمام الجواد عليه السلام يحبط مخططات المأمون

أدرك الإمام الجواد عليه السلام سياسة المأمون منذ اللحظة الأولى التي وطأت قدماه بغداد، وجابهها بكل قوة غير آبه بقوة السلطان وزخارف ملكه ومحاولات استمالته من اجل احتواءه وقد تضمن ذلك محطات رواها التاريخ منها: 1 - على الصعيد العلمي، هباً المأمون للمناظرات بين الإمام الجواد عليه السلام وبين قاضي قضاة الدولة العباسية يحيى بن أكنم المعين من قبله والمقرب منه بحضور حشد كبير من الفقهاء والعلماء والامراء والوجهاء، في صالة كبرى بقصره في بغداد وطلب المأمون من ابن اكنم اعداد سؤال يعجز عنه جميع الفقهاء والعلماء فضلا عن صبي لم يتجاوز عمره الشريف 9 اعوام حيث قال «اطرح على أبي جعفر محمد بن الرضا عليه السلام مسألة تقطعه فيها» وقد فكر يحيى بن اكنم كثيرا قبل فترة طويلة حيث كان يعد نفسه للمناظرة التي أمل فيها ان يقترب من الخليفة بعد اظهار عجز الامام عن الجواب امام الملأ العام.

وحان موعد المناظرة والنقاش بحضور زعماء القوم وعليه الاشراف والوجهاء فسأل الامام الجواد عليه السلام: ما تقول جعلت فداك في محرم قتل صيدا؟.

فتبسم الامام عليه السلام بالرد عليه في ان هذا السؤال ناقص وينبغي اكماله فتلجج لسان ابن اكنم فوضح الامام السؤال وأكمله:

”هل قتله في حل أو حرم، عالما كان المحرم أو جاهلاً، قتله عمداً أو خطأً، حراً كان المحرم أو عبداً، صغيراً كان أو كبيراً، مبتدئاً بالقتل أو معيداً، من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها، من صغار الصيد أم من كبارها، مصراً على ما فعل أو نادماً، في الليل كان قتله للصيد أم في النهار، محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً؟“.

فتحير يحيى بن أكنم وبان في وجهه العجز والانقطاع ولجج حتى انكشف فشله واحباطه امام كبار القوم والعلماء. ثم شرح الإمام عليه السلام بعد ذلك تفصيل هذه المسائل قائلاً:

”إن المحرم إذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير، وكان من كبارها، فعليه شاة، فان أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً، وإذا قتل فرخاً في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن، وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ، فإذا كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة، و إن كان نعامة فعليه بدنة، وإن كان طيبياً فعليه شاة، وإن كان قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة. وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدى فيه، وكان إحرامه بالحج نحره بمنى، وإن كان إحرامه بالعمرة نحره بمكة، وجزاء الصيد على

العالم والجاهل سواء وفي العمد عليه المأثم وهو موضوع عنه في الخطاء، والكفارة على الحر في نفسه، وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه، وهي على الكبير واجبة والنادم يسقط ندمه عنه عقاب الآخرة والمصر يجب عليه العقاب في الآخرة“.

وكان من اثار هذه المناظرات أن انتشر فكر اهل البيت عليهم السلام وشاع وبانت قوته ومثابته وعلوه، فانقلب السحر على الساحر.

2- وأما من جهة العصمة، فقد حاول المأمون الطعن بها وتسجيل ولو خطأ واحد على الإمام الجواد عليه السلام، وبذل لذلك كل ما أمكنه، فعن محمد بن الريان قال: «احتال المأمون على أبي جعفر عليه السلام بكل حيلة فلم يمكنه فيه شيئاً فلما أراد أن يبني عليه ابنته دفع إلى مائة وصيفة من أجمل ما يكنّ إلى كل واحدة منهن جاماً فيها جوهر يستقبلون أبا جعفر عليه السلام إذا قعد في موضع الختان، فلم يلتفت إليهن، وكان رجل يُقال له مخارف صاحب صوت وعود وضرب، طويل اللحية فدعاه المأمون فقال: يا أمير المؤمنين إن كان في شيئاً من أمر الدنيا فأنا أكفيك أمره، قعد بين يدي أبي جعفر عليه السلام لا يلتفت إليه لا يميناً ولا شمالاً، ثم رفع رأسه عليه، وقال عليه السلام: (اتقوا يا ذا العثنون)، قال: فسقط المصراب من يده والعود فلم ينتفع بيده إلى أن مات.

3- ورغم الحقيقة الراسخة في عصمة الإمام عليه السلام إلا أن المأمون كان قادراً على الاستفادة من وجود الإمام في قصر الخلافة من الجهة الإعلامية ليعكسها بشكل سلبي على الشارع الشيعي، وقد واجه الإمام عليه السلام ذلك أيضاً واسقطه، فقد روي عن الحسين المكاربي قال: دخلت على أبي جعفر ببغداد وهو على ما كان من أمره، فقلت في نفسي: هذا رجل لا يرجع إلى موطنه أبداً وما أعرف مطعمه؟ قال: فأطرق رأسه ثم رفعه وقد أصفر لونه.

فقال عليه السلام: ” يا حسين خبز شعير وملح جريش في حرم رسول الله أحب إلي مما تراني فيه“.

4- لم يستطع المأمون أن دفع الشيعة للسقوط في مخططاته وسياساته والاستفادة منهم كأتباع خانعين لسلطان بني العباس، بل على العكس فقد استفاد الإمام الجواد عليه السلام من هذه السياسة في تقوية المشروع الإسلامي الأصيل وترسيخ دعائم اهل البيت عليهم السلام.

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِّمَّ نُّورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

واستمر المأمون بسياسته هذه يحصد الفشل تلو الآخر إلى أن توفي وحكم بعده أخوه المعتمد، فسار مدة بسيرة المأمون، ولكنه سرعان ما فقد الأمل أيضاً من تحقيق أهدافه، وفهم الآثار التي تحصل بسبب هذه السياسة التي لم تزد مخططاته إلا ضعفاً وسلطانه الا وهنا والشيعة إلا علوا ومثانة، وأحس بالاحباط والفشل فتخلى عن سياسته هذه وعاد إلى سياسة اسلافه القائمة على استخدام الحديد والنار شان كل ضعيف لا يقدر على مواجهة الكلمة والفكر، ففسد السم للإمام الجواد واستشهد عليه السلام عن عمر لم يتجاوز الخامسة وعشرين عاماً.

